# سلسلة مقالات فى الاخلاق

## ١

### الاسوة الحسنة او المثال الخلقى

ليس فى مكنة البناء الماهر أو النجار الحاذق أن يخرج عمله متقنا حائزا الرضاء التام الا اذا وضع نصب عينيه مثالا يحتذيه وسار فى عمله على منهج ينتهجه وطريق معبد يسلكه بحيث يكون ذاك المثال قدارتضاه الناس او نال استحسان الجمهور .

وقد يفترض المهندس المثال افتراضا ويخترعه المتفنن اختراعا فيكد فيه ذهنه ويجهد قريحته ليبرز صورة ماتخيله وجال بخلده فى صورة محسة لاتند عن الاذهان أو تنفر منها الاذواق .

ولقد كان هذا مذهب بعض الفلاسفة المتقدمين والعلماء العاملين فكانوا يتخيلون مايريدون أن تكون عليه أممهم ويضعون النظم والقوانين لذلك كما فعل افلاطون « باتيوبيا » المملكة العاقلة والفارابى بالمدينة الفاضلة — غير أن هذه المثل الجميلة والنماذج الممدوحة لا تثمر الثمرة المرجوة الا اذا اخرجت من حيز القول والتخيل الى جهة العقل والحس — والمثل الخلقية كثيرة وليس من غرضنا أن نضيف اليها جديدا وانما نريد أن ننتقى منها ما يوافق العصر الحاضر ويلائم احوال الاجتماع .

## أولى الناس بأن يكونوا مثلا حسنة هم

(١) الوالدان بالنسبة لأبنائهم لأنهم أقرب الناس الى الطفل وأحبهم لديه وألصقهم به وهو محاك كما هو معروف فأحر به أن يحاكى من حسنت طباعه وكرمت شمائله .

(٢) المعلمون — وكلهم عظيم المسئولية كبير التبعة ملقى على عاتقه أثقل حمل ومطلوب منه أن يؤدي لأمته أجل خدمة ولا يضطلع المعلم بهذا ويقوم به على الوجه الأكمل الا اذا أحسن المسئولية وقبل مهنته طائعا مختارا غير مضطر بدافع الحاجة أو مسوق بسائق المعيشة .

(٣) المرشدون والوعاظ — وهم يشاركون المعلمين فى هذه المهنة وتلك المسئولية . غير أن الناصح الأمين والمرشد الصادق لا يمكنه أن يقوم بمهمته الا اذا كان عارفا بطبائع النفوس ملما بأحوال الاجتماع يقابل كل نفس من جهة ما تميل اليه وتراتاح لفعله . كالطبيب العارف بصنوف العلل وأنواع العقاقير يداوى كل داء بما يحسمه من الدواء أو الزارع المجيد الذى يعرف أنواع التربة وما يلائمها من البذور والأشجار والزمن الذى يرد فيه الزرع ويمنع الثمر .

### المثال الخلقى والتربية المنزلية

ومما نأسف له كثيرا أن جل نسائنا ورجالنا غير صالحين لان يكونوا مثالا خلقيا فى الآونة الحاضرة للنقص الفاضح فى التربية

المنزلية عندنا — واغنياؤنا لايفضلون فقراءنا فى شيء اذ النقص شامل والاهمال عام — نأسف على هذا ونحزن كثيرا ولكن هذا الحزن وذاك الأسف لايؤيسانا من رحمة هذا الانتقال النفساني الكبير وروح هذا التدرج العظيم فى أفكارنا وآرائنا بل هو يملأ نفوسنا أملا ورجاء فى أن كلماتنا هذه ستصادف من نفوس اخواننا آذانا مصغية وقلوبا واعية تقدرها حق قدرها وتسير بها الى مستوى الفلاح والنجح بمشيئة الله :

قلنا ان أولى الناس بالقدوة الحسنة هم الوالدون والمعلمون والمرشدون وغيرهم من رؤساء الدين الذين نصبوا أنفسهم للوعظ والارشاد بيد أن هؤلاء لايكون عملهم الخلقى تاما وتربيتهم للناس على الفضائل كاملة الا اذا شاركهم في عملهم هذا رؤساء المصالح ومديرو المعامل وارباب السياسة والأقلام فى الأمة — وأثر هؤلاء الأخيرين فى التربية الخلقية لايقل عن المتقدمين لأن الرئيس العادل والمدير اليقظ والكاتب المتحري الحقيقة يكون مثالا حسنا لمرءوسيه فى عدله ونزاهته وفحصه عن الحقائق حتى تتشرب هذه الصفات نفوس من يعملون باشارة كل واحد منهم ويدينون بمذهبه ويسيرون على نسقه

## الحكومة والتربية الخلقية

وجه اكبر فلاسفة اليونان قديما جل اهتمامهم لحياة السياسيين

وتربية الحكام تربية خلقية فلسفية حتى اشترطوا للنجح فى الادارة ان يكون الحاكم قاضيا كان او مديرا او وزيرا فيلسوفا لما له من السلطان وما يتبع ذلك من الميل الى محاكاته فى عمله واقتفاء سبيله

## تنوع المثل الخلقية

والمثل الخلقية متنوعة بحسب تنوع الاحوال الاجتماعية فهناك تربية دينية واخرى دنيوية ثم حربية وتجارية وصناعية وتربية على محبة الفنون وقد تكون التربية على نسق مثال خيالى اعتبره المربى نهاية فى الفضل وغاية فى الحسن كما عمل الفيلسوف اليونانى المشهور افلاطون فى مملكته العاقلة « ايتوبيا » التى قال عنها — ان لم تبن على الأرض فانها ستكون فى السماء — وكما فعل الفيلسوف الفرنسى والكاتب القديرجان جاك رُسُّو فى مثاله « اميل القرن الثامن عشر »

ومما تنبغى التنبيه له بصفتنا خلقيين نتكلم عن الاخلاق ونسعى لرقيها — مما يعترض المثال الخلقى للتاجر والصانع والحاكم السياسى ان الاولين يسعيان بجد فى خلق المنافسات التجارية والمضاربات المالية ورواج سلعة وكساد اخرى فيجران بذلك المغانم ويسببان فى الوقت نفسه اغرامها من الناس المغارم — وكذلك المسلط السياسى فانه ذو طمع شديد وحرص زائد على بسط نفوذه ومد سلطانه وخلق المشاكل للتدخل فى شئون الناس تارة لحماية متاجره وطورا للمطالبة بحق مضاع مخترع أو تعويض مبتدع الى غير ذلك من الاساليب التى يتذرع بها القوى لاستعباد

الضعيف ـ وبهذا تفقد كثيرا من الغرض السامى الخلقى الذى نجد فى الحصول عليه

والمهم هنا ان يربى الناشئ التربية التى يريدها والداه أو يميل هو اليها بطبعه كما تربى الناشئة التى يراد بها ان تكون ربة بيت حكيمة مدبرة كذلك فيربى التاجر والصانع على محبة حرفته والرفع من شأنها واتقانها والبعد كل البعد عما يميل به عن الصراط السوى وكذلك يربى السياسى على أن يرفع من شأن أمته ولكن على شريطة ألا يغض من شأن الآخرين وأن يحب للناس مايحب لنفسه وأمته وأن يرد السيئة بالحسنة فيمحوها وان يخالط الناس برفق ويعاملهم بخلق حسن .

وبهذا ترتقى الاخلاق وتبنى صروح الآمال وينشر لواء الفضيلة ويعم الآخاء والرخاء ويظهر أثره بينا فى حياة الامة العملية من تجارة وصناعة ـ والاجتماعية من محبة ومودة فتزدهى آدابها وتزيد موارد ثروتها وعمارتها ؟

عبد الحميد خضر
مدرس بالمدرسة التوفيقية